زمنه . فزمن الحدث الواقعي ، زمن التراكمات والانفجارات في النص السردي ، الذي يضم التفاصيل ، يتحول في زمن الكتابة الى زمن الانفجار الذي لا يلتقط العناصر الا لحظة تحولها . هذا هو زمن حوار المتكلم ــ الغائب في « تلك صورتها » . زمن البحث عن التوتر الذي يكشف في الواقع عنصر جدله ، ويسقط عنه الهالة التطورية بالمعنى السكوني التي تغرسها الايديولوجيا المسيطرة .

هذه اللحظة هي في الواقع تلخيص مكثف ، لثلاث لحظات في الشعر الفلسطيني :

لحظة الواقع المتحول ، ضمن نبرة مأساوية تحدث اختلال النص ، بوصفها تعبيرا عن اختلال اللغة ــ الاشارة . هذا الاختلال هو اختلال في المرجع الواقعي الذي تحاوله مراثي القاسم وهي تمتد الى عزلة الموت في نبرة جماعية ، تتفتت عناصرها ويبقى منها الحزن الذي يوحد .

لحظة المخيم ، التي تستحيل في لغة دحبور ، الى امتداد نحو الفعل ، نحو جدار الخزان وقد تجمعت أيدي الفقراء حوله وابتدات تضرب ، تأتي الى كربلاء لتشهد للولادة داخل الدم .

لحظة الحلم ، الذي يأخذ معنى قرويا بالغ الشفافية مع « خضرة » ، ويمتد داخل حقل البعد الشامل ، في لغة « العصافير تموت في الجليل » ، حيث نعثر على ملامح التحول الذي سينعطف مع « سرحان » ليصل الى لحظات تفجره في « الخروج من ساحل المتوسط » ، التي تستعيد « تلك صورتها » مأساويتها ضمن توجه نحو مستقبل تحمله الكلمة الشعرية المستديرة ، التي تحمل في داخلها جدلا يمتد نحو الحلم .

هذا الاتجاه العام ، الذي يؤكد مسيرة الصوت الشعري الفلسطيني ، لا يتوقف عند الرمز الشامل ، الا ليضمه في مسيرة التحول . هكذا ينفجر الخزان داخل القصيدة ، وهو يبحث من خلال أيدي الذين يكسرون جدرانه عن الحلم الذي يرتسم داخل افق الممارسة . فالقصيدة ليست لحظات متتابعة من الصور او الايقاع . وهي كذلك ، ليست تلخيصا ايقاعيا لعناصر الايديولوجيا الثورية بشكل مباشر والباسها الثوب الشعري. انها سياق داخلي ، يجري فيه جدل الابعاد المتعددة وصولا الى لحظات الحلم ، التي تطرح أسئلة ، تبحث عنها في حوارات داخلية ، هي الامتداد الواقعي ، لايقاع في الممارسة داخل اللغة . فالقول الشعري او الادبي ليس معطى متحرر من المسبقات . انه لغة مليئة بالمسبقات التي يجب اعادة محاكمتها ، وتغيير منظورها . هنا تأخذ مشروعية البحث عن الحلم الذي يمتد في حوارات ينتفي فيها الابطال ، بعدها الحقيقي ، بوصفها في التحليل الاخير ، جزءا من العملية الثورية .

هنا ، تقع الاضافة التي تقدمها تجربة أدونيس الشعرية . فهي دخلت ابتداء من « هذا هو اسمي » ، في محاولة اكتشاف لغة شعرية جديدة ، انطلاقا من انجاز الحركة الشعرية المعاصرة . يأتلف داخل هذه اللغة ، لغة الرمز التاريخي مع لغة العناصر الواقعية المباشرة ، التي تحول الواقع . لكن الاساسي هو في قدرة القصيدة على ضم هذين العنصرين في بنية تفتح نفسها لاستقبال مداليل جديدة للغة الشعر . فالشعر ليس مجرد استرجاع للذاكرة ، وليس هو الحلم بمعنى مزج العناصر لتشكل ابعادا جديدة . انه في القدرة على صياغة سياق يصل اللحظة الحاضرة بمستقبلها أي تتواصل في داخله ، بنية الواقع ضمن لغة جديدة ، تعيد للمداليل المعاني ، أو بتعبير أكثر دقة ،